

تفسير قوله: الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا

..... ثم أخذوا يوبخونهم بصفاتهم الخسيسة التي كانوا يرتكبوها في دار الدنيا فقال: { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا } إنما أضاف الدين إليهم مع أنهم ليس لهم دين فحجم الله لأن الدين أمرهم الله به، وأرسل إليهم نبيه يدعوهم إليه؛ فكان من حقمهم لا يعترفون، وأن يطيعوا فلم يكن لهم دين إلا هذا "اللعو واللعب". "اللعو واللعب" متقاربان. قال بعض العلماء: "اللعو" هو صرف النفس عما ينفع ويفيد إلى ما لا ينفع ولا يفيد، و"اللعب" هو أن يطلب الإنسان لنفسه الفرح والسرور بما لا ينبغي أن يفرح به، ولا أن يسر به وهما متقاربان. ومعنى اتخاذهم الدين لهوا ولعبا أنهم يسخرون من القرآن، ويسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضعفاء المسلمين. يستهزئون بالدين وبأهل الدين؛ وبذلك اتخذوا الدين لهوا ولعبا. كما قال جل وعلا أنهم إذا مر بهم ضعفاء المسلمين { وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } . ويسخرون منهم ويستهزئون؛ كما قال جل وعلا عنهم أنهم يقولون: { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } . ويسخرون من المؤمنين كما سخروا من نبي الله نوح وقالوا له: بعد أن كنت نبيا صرت نجارا، وقال لهم: { إِنَّ تَسْحَرُونَ مَا قَلِيلًا تَسْحَرُونَ مِنْكُمْ كَمَا تَسْحَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ } وهذا معنى اتخاذهم الدين لهوا ولعبا. { وَعَرَّهْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } ؛ أي خدعتهم الدنيا بلذاتها ونعيمها، وطنوا أنها غير زائلة، وأنها لا جزء بعدها؛ فألهتهم لذاتها والعياذ بالله والانهماك فيها حتى ماتوا وهم كفار. وهذه الآيات ينبغي للمسلم أن يعتبر بها، ويأخذ منها عظات كريمة فيعمل أن يوم القيامة إنما هو بحسب الأعمال. هنالك قوم قصرت بهم أعمالهم تقصيرا شديدا؛ فأدخلوا دركات النار. وقيامهم تقصيرا غير شديد فحبسوا عن الجنة، وقوم لم تقصر بهم أعمالهم فأدخلوا الجنة { ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه } ؛ كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. والمراد من قصص هذه الأخبار أن تعتبر في دار الدنيا، ونعلم أن الأمور بحسب الأعمال، وأن من قصر به عمله كان في دركات النار، ومن قصر به عمله تقصيرا أخف من ذلك حبس عن الجنة إلى ما شاء الله. فعلينا أن نحذر من التقصير في طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن التقصير قد يجر إلى دركات النار، ويقلد يجر أيضا إلى الحبس عن الجنة؛ فعلى المسلم أن يحذر من هذا ومن هذا. وأن يطيع الله ويبالغ في مرضاة الله بامتثال أوامر الله واجتناب نواهي الله؛ بحيث لا يتخذ عن أمر الله به، ولا يوجد عند أمر نواه الله عنه؛ ليدخل الجنة ولا يدخل النار، ولا يحبس عن الجنة بسببها؛ هذا يلزم. كذلك لا يتخذ الدين هزوا ولعبا؛ لأن الذين يتخذون الدين هزوا ولعبا سيجدون ضد ذلك. وأتباع هؤلاء كثرنا في هذا الزمان والعياذ بالله ؛ لأن كل نزعة كفرة تتجدد لها أعصاب في عروقها القديمة. وهذه النزعة المتجددة الآن تجدد كثيرا؛ لأنك تجد كثيرا من الشباب في جميع أقطار المعمورة ممن ينتسبون إلى الإسلام يتخذون الدين هزوا ولعبا، ويتمسخرون من الذي يصلي، ومن الذي يتسم بسمت الأنبياء؛ فيعفي ذقنه ولا يخلقه، وربما قلدوا عليه التيس استهزاء واستحقارا. فهؤلاء ينالهم من وعيد الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا بقدر ما ارتكبوا؛ فيجب على كل مسلم شابا كان أو غيره ألا يتخذ الدين هزوا ولعبا، وألا يتخذ الدين لهوا ولعبا؛ فلا يسخر من الدين، ولا يسخر من أهله، ولا يسخر من حملة الدين. ولا من العلماء ولا من هياتهم مع أن الذين يسخرون ذوقهم معكوس وضمانهم منطمسة؛ لأن هذا الذي يسخرون منه هو الشيء الذي ينبغي، وهم في الحالة التي يسخرون منها كما في أمثال العرب: "رمتني بدائها وانسلت". الآن إذا رأيت رجلا ذقنه مثل ذقني، ذا لحية بيضاء موفورة لم تقطع منها شعرة، إذا سافر وراه صبيان المسلمين وشبابهم في الخارج ينظرون إليه نظرة ازدراء واحتقار؛ كأنه في أعينهم تيس لا يفهم عن الدنيا. ولا يساير ركب الحضارة؛ مع أنه في الواقع أن الرجل المعفي ذقنه المتمسم بسمت الأنبياء هو الرجل العاقل الأخذ بالسمت الكريم؛ لأن هذه اللحية هي أعظم ما يتميز به الذكر عن الأنثى؛ فحلقها والفرار منها فرار من كرم الرجولة وشرف الذكورة إلى أنوثة الخنثوة. يريد أن يشبهه بالأنثى وعلى شرف وكرم وجمال في وجهه وميزة لفلولته وذكورته عن خنثوته الأنثى وضعفها، والرجال الكرام الذين أخذوا كنوز قيصر وكسرى لم يكن واحد منهم يلحق شيئا من ذقنه. وكذلك سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كان أجمل الناس وأحسن الناس وجهها وأكثر الرجال نساء ولحيتها كثرة معفاة هي في غاية الجمال والكمال؛ فيجب على كل شاب وعلى كل مسلم ألا يتمسخر من الإسلام. وألا يتخذ الإسلام لهوا ولعبا، وألا يسخر من حملة الدين ولا من هيات العلماء، ولتعلم أن هيات العلماء هي السمات التي كان عليه السلف الصالح والصحابة الكرام والنبي صلى الله عليه وسلم. وهو سمات الأنبياء الكرام في ماضي الزمان. هذا هارون عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من أنبياء سورة الأنعام الذين قال الله فيهم: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ } . وقال الله لنبينا: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيَهْدَاهُمْ أَقْبَدُ } وثبت في صحيح البخاري عن مجاهد أنه سأل ابن عباس من أين أخذت السجدة في ص؟ قال: أو ما تقرأ؟ قال: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ } { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيَهْدَاهُمْ أَقْبَدُ } . هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا أن يقتدي بهم، ومن الاقتداء بهم الاقتداء بسمتهم الكريم. لما غضب عليه أخوه وحده كثر اللحية معفاها؛ فقال له: { لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي } . ومرادنا بهذا الكلام أن اتخاذ دين الله هزوا ولعبا ولهوا ولعبا -انتشر في أقطار الدنيا، ولا سيما من الشباب الذين يتسمون باسم المسلمين. إذا راوا رجلا يذهب إلى الصلاة يصلي سخروا منه وهزئوا به. يظنون أن الكرة أنها رياضة خير من الصلاة. وإذا راوا رجلا متمسما بسمت الإسلام، أو عليه سمات الإسلام، أو بنادي باسم الدين -يقولون: هذا رجعي، هذا رجل لا يفهم، هذا لا يساير ركب الحضارة. ويتخذون العلماء وحملة الدين والنور السماوي وتعاليم الدين، يسخرون منها ويضحكون ويستهزئون؛ فيحذروا من الاستهزاء بدين الله ومن اللهو، ومن اتخاذ آيات الله هزوا ولعبا؛ لأن ذلك أمر عظيم عند الله. ولما ضحك بعض المنافقين، وقالوا النبي صلى الله عليه وسلم لما ضلت رحلتك في غزوة تبوك: هو يدعي أنه يأتيه علم الغيب من السماء، وهو لا يدري أين ذهب رحلته. وسخروا من النبي صلى الله عليه وسلم وهزئوا به ونزل القرآن فيهم: { وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ } . يعني كنا نسخر ونضحك بهزل غير جد. أجابهم الله "فُلْ أَيْبَالَهُ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ يُعْذِبُ عَنِ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ مِنْهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ". وفي قراءة عاصم وحده { إِنَّ تَعَفُّ عَنِ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ } . والشاهد عندنا أن نحذر إخواننا المسلمين من أن يتخذوا دين الله وآيات الله هزوا ولعبا؛ لئلا يلحقهم ما لحق الكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا؛ فيحذر المؤمن كل الحذر أن يسخر من دين الله، وأن يستهزئ بآيات الله وأن يسخر من حملة العلم ومن رجال الدين، وأن يتخذهم مسخرة ومضحكة. هذا لا ينبغي ولا يليق ومن فعله سيناله من الوعيد بقدر ما قال الله في أهل النار: { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَعَرَّهْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } ؛ فعلى المسلم أن يحترم الدين ويعظم الدين، ويعظم كل ما جاء من ربه من الأوامر والنواهي. ويعظم العلماء وحملة العلم والمتسمين بسمات العلم، ولا يحقرهم ولا يتخذهم هزوا. وإنما بينا هذا لكثرة ما نشاهد من شباب المسلمين في أقطار الدنيا -يتخذون الدين مسخرة وملعبة ومضحكة، يضحكون ممن يصلي ويستهزئون به ويسخرون منه، ويتخذونه لهوا ولعبا كأنه مضحكة مسخرة، هذا أمر خطير وعاقبته وخيمة. وقصدنا أن نحذر أنفسنا وإخواننا المسلمين منه؛ فعلينا أن نعظم آيات الله ونحترم دين الله ونحترم حملة الدين والعلماء المتصفين بحمل الدين، ولا نتخذهم لهوا ولعبا ولا نسخر منهم. ولا نقلد عليهم التيوس إذا رأيناهم يعفون لحاهم بل نعظمهم ونحترمهم؛ لئلا يلحقنا من الوعيد بقدر ما فعلنا من ذلك كما قال الله في الكفار { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا } ؛ لأنهم كانوا يسخرون من ضعاف المسلمين إذا راوهم يصلون ويعبدون والله يتغامزون ويضحكون { وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ } ويقولون { أَهْلَآءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا } { لَوْ كَانُوا حَيًّا مَا سَبَقُوا إِلَيْهِ } . انظروا دين محمد يقول: إن هؤلاء الكفرة والنسبي الفجرة أنهم يملكون الكرامة، فيسخرون منهم ويضحكون من دينهم؛ هذا أمر لا ينبغي. فيجب على المسلم أن يكون محترما للدين مهبطا، لما جاء من الله معظما لرجال العلم محترما لرجال الدين. غير مستهزئ بالدين ولا بحملة الدين ولا متخذهم مسخرة. هذا هو اللازم، وهذا معنى قوله: { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَعَرَّهْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } ؛ أي خدعتهم. والدنيا ثابت الأذى، وإنما سميت الدنيا لدنوها؛ أي قربها أو ليدانيتها بالنسبة إلى الآخرة. ثم قال الله { قَالِيَوْمَ نُنَسِّأَهُمْ } المراد بالنسيان هنا الترك مع العلم التام؛ لأن الله لا ينسى كما قال: { عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى } والعرب تطلق النسيان على ذهاب الشيء عن علم الإنسان بعد أن كان يعلمه، وهذا المعنى مستحيل على الله. وتطلق النسيان على الترك عمدا وهو المقصود هنا، وهو في آيات كثيرة { قَالِيَوْمَ نُنَسِّأَهُمْ } ؛ أي تتركهم عن إرادة وقصد يتقلبون في دركات النار وأنواع العذاب { كما تَسْأَلُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } ؛ أي نسياناً كنسيانهم لقاء يومهم هذا؛ لأن هذا اليوم لم ينسوه، وإنما تركوا العمل له عمدا وقصدا وعنادا للرسل { كما تَسْأَلُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ } . في قوله: { وَمَا } { وَمَا كَانُوا يَأْتِيَانِي يَسْأَلُونَ } وهذا من التفسير الصحيح منها أنها مصدرية، والمعنى كنسيانهم لقاء يومهم هذا وككونهم جاحدين بآياتنا في دار الدنيا؛ فما مصدرية. وذلك قول من علماء التفسير؛ فقالوا: إنها نافية والمعنى { وَمَا كَانُوا يَأْتِيَانِي يَسْأَلُونَ } ما كانوا يجحدون بها في قرارة أنفسهم؛ بل يعلمون أنها حق، ولكنهم كانوا يعاندون كما قال: { قَالِيَوْمَ لَا يَكْفُرُونَ لَكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } . والتحقق أنها مصدرية والمعنى تتركهم في النار، ونسيانهم تاركين إياهم في النار عمدا وقصدا معذبين في النار خالدين فيها { كما تَسْأَلُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } كما تركوا العمل للقاء هذا اليوم، وكما { كَانُوا يَأْتِيَانِي يَسْأَلُونَ } ؛ أي كنسيانهم لهذا اليوم وكجحدهم لآياتنا وتكذيبهم رسلنا. ونسأل الله وعلا ألا يجعلنا ممن كذب رسله، وألا يجعلنا ممن نسي ذلك اليوم، وألا يجعلنا ممن نسبه الله. اللهم لا تجعلنا من أهل الأعراف، ولا تجعلنا من أهل النار، اللهم أدخلنا الجنة. ولا تحبسنا عن بذنوب، اللهم لا تحبسنا عن جنتك بذنوب، اللهم لا تحبسنا عن جنتك بذنوب. اللهم هب لنا من الأعمال الصالحة ما تدخلنا به جنتك، وقنا شرور أنفسنا، اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا، اللهم وفقنا لما ترضاه، وهب لنا وبسر لنا من الأعمال الصالحة ما يرضيك عنا وتدخلنا به جنتك. اللهم إختم بالسعادة أجالنا، واقرن بالعافية غدونا وإصالنا، واجعل إلى جنتك مصيرنا ومآلنا. { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا } { رَبَّنَا لَا نُؤَاخِذُكَ إِنَّ تَسْبِيحًا أَوْ أَحْطَاتًا رَبَّنَا وَلَا تَجْمَلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ مَوْلَانَا فَاقْضِ لَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } . { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . اللهم صل وسلم على محمد